

لعنة الذاكرة

info@darak-egy.com ✉
02 24832669-010 27251915 📞
51 ب شارع النهضة – من امتداد رمسيس – القاهرة. 📍
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر. **دارك** للنشر والتوزيع

لعنة الذاكرة

شهاب الدين سعودي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2019/25019

الترقيم الدولي: 9-9-29-6634-977-978

الطبعة الأولى: 2020

شهاب الدين سعودي

لعنة الذاكرة

رواية



إهداء

إلى الرجل الذي يقبع في المقابر بجوار الموتى، لأنه الوحيد الذي
اطلع على الحقيقة ولم يقتل نفسه أو يفقد عقله، قلت له
يومًا سوف أتحدث عنك عندما أصبح كاتبًا.

كتبت هذه الرواية:

في أول أيام شهر إبريل الذي اشتهر بالكذب وأطلقوا عليه (كذبة إبريل) كل شخص لديه كذبة في هذا اليوم أما باقي الأيام فنحن ملائكة نعتاد الصدق، فقط من يستطيع منّا الكذب في أيّ يوم غير أول أيام إبريل؟! سيلعنه الله ونحن نخشى اللعنة دائماً. هذه كذبتني اليوم فلا تصدقني؛ نحن كائنات تتغذى على الكذب كل لحظة ولا أحد يلوم نفسه لأننا لا نكذب على أولياء الله الصالحين وإنما نتعامل بمنهج واحدة، هكذا يبررون لأنفسهم، أخبرني أنت أيها القارئ الذي اقتنيت روايتي قبل أن نبدأ، لماذا تبرر كذبتك؟!

حسناً، أنا أضحك الآن فلا تبالي لسؤالي؛ بالمنطق أنا لن أستمع إلى إجابتك، حتى وإن صارحتني.

”كلمة الكاتب“

(الرسالة الأولى)

في القبور حياة أخرى ليست للأموات فقط وإنما لي أنا أيضًا، لا تسألني عن اسمي أو كم أبلغ من العمر، اسألني فقط: لم اتخذت تلك البقعة التي تتوسط مقبرتين صغيرتين وقررت العيش بها؟! اسأل عن شعوري كل يوم عندما أستمع لبكاء وعويل أسر الموتى والدعاء المعتاد لهم، وبعض المشايخ الذين يتلون بعض السور القرآنية. سنوات عديدة وأنا أجلس هنا، أكل وأشرب هنا وأنام وأستيقظ، هذا عالمي وموطني فحدّثني أنتَ عن عالمك القبيح.

(1)

لا أحد يختار أهله؛ فهم كالقدر خُلِقوا قبل أن نُخَلَق ونحن نتحمل جميع النتائج، أما عن الحقيقة فلا أحد منا يختار شيئاً حتى وإن ظننا العكس، حتى هذه الرواية أنت تقرأها بحكم القدر فقط.. ستظل الحياة معركة غريبة لم نستطع تفسيرها بعد.

العاشر من شهر يونيو سنة 2020

استيقظت (فيروز) على صوت رضيع لم يبلغ من العمر إلا أشهر قليلة، وجدته في لفافة بيضاء موضوع بجوارها على الفراش، انتفضت من مكانها متجهة بفزع إلى زَرِّ إضاءة الغرفة وبدأت تحدق إليه، ما هذا!؟! طفل!! مَنْ أتي به إلى المنزل؟! هي تسكن بمفردها وحريصة كل الحرص على إغلاق بابها وجميع المنافذ، نظرت له برعبٍ شديدٍ وهي تسأل نفسها بينما استمر هو في بكائه، ما كان عليها إلا الاقتراب، بدأت تتحرك نحوه ببطء، خطوة تتوسل للأخرى بعدم الذهاب، ولكن في النهاية جلسَتْ بجواره وأزاحت عن وجهه الغطاء، طفل يُشبه الملائكة، له عينان زرقاوان وأنف صغير مدبَّب وفم رقيق، بدأ يأخذ وضع الابتسام بعد توقفه عن البكاء مباشرة.

أمسكته برفق وضمته إلى صدرها وكأن الدمع تبدَّل من عينيه إلى عينيها،

ظلت تحتضنه بشدة وتبكي وكأنها كانت بحاجة إلى تلك اللحظة لتذرف ما بداخلها من الوجد، ربما شعرت أنه مثلها في نفس الموقف؛ منزل غريب ليس به أحد من أهله ولا أهلها، فهي تركت مدينتها وأتت إلى الإسكندرية بسبب الجامعة، اتخذت شقة صغيرة بأحد العقارات القريبة ورفضت بيت الطالبات حتى تستريح من أي ضغوط.

فتاة مختلفة تمامًا بشخصيتها عن بقية زملائها، ولا بالغ إن قلت عن بقية فتيات المدينة، لا تتحدث إلا للضرورة، هادئة إلى حد الغموض، رغم أنها في العقد الثاني من عمرها إلا أن بشرتها البيضاء ووجهها الهادئ يجعلونها وكأنها طفلة. ليس لديها أي أصدقاء لا في مدينتها ولا في مدينة الإسكندرية. تحب الأماكن الهادئة مثلها ولكن حرصها الشديد جعلها كالرجل الآتي من الجامعة إلى مسكنها والعكس في الصباح. أمها من زرعت فيها تلك الصفات، تذكر كلماتها أثناء حشو حقيبتها، تتذكر حركة يدها التي توحى بالغضب، وضعها الملابس بكل عصبية أثناء توعيتها وهي تقول: "لا تأمني لأحد غيري؛ فالجميع يريد أذيتك طالما يتوقف الأمر على مصلحته، الجميع ينافق ويخادع ويكذب في الدقيقة أكثر من ثوانيتها، يا ابنتي الثقة خلقت لتكون بالنفس وليست في الآخرين، من يخوض الحرب سيدفع الثمن قبل هزيمته وقبل انتصاره؛ لذلك من لم يخضها هو صاحب الانتصار الآمن، تذكرني جيداً، الفتاة أكثر قوة من الرجل عندما تُبطل قلبها ولا تتبعه، وأنا أريدك أقوى فتاة على وجه الأرض." وبعد أن انتهت أمها وأغلقت الحقيبة، أمسكت يدها بعنفٍ وتابعت:

"لن أعانقك هذه المرة، أريد أن تعتمدني على نفسك، وإذا شعرتِ بقسوة الآخرين تسمي لهم ولا تبكي أبداً، إذا أردتِ البكاء ابني وحدك على فراشك

وتذكري كلامي جيداً، الدموع نزييف الروح فلا تقتلي روحك بالبكاء كثيراً.“
ما زالت (فيروز) تحتضن الطفل وتبكي وصوت أمها يزلزل أذنيها بحدته،
ثم نظرت للطفل ثانية وقبّلته وهي تضحك والدموع على خديها ليضحك
الطفل أكثر ولكنها أحست بشيء غريب في ظهره، بدأت تفتش بدقة حتى
وجدت ورقة صغيرة، التقطتها وقامت بفتحها سريعاً لتجد خطاباً بقلم حبر
أزرق، يبدو أن كاتبه يريد إخبارها بشيء أو هي وصية أهله قبل التخلي عنه.

وقف (فارس) أمام باب شقته وأخرج علاقة المفاتيح ثم زفر بضيق وهو
يضع يده مرة أخرى على جيبه عندما شعر بهاتفه المحمول يهتز، أخرجه
بعصبية ونظر له بتهكم، المتصل (الحاج طلعت) لم يقبل مكالمته وأعاد هاتفه
إلى مكانه فاتحاً الباب سريعاً دالفاً إلى منزله، وبعدها أغلقه بقوة ليذكره صوت
ارتطام الباب بصوت الرصاصة التي أطلقت من مسدسه منذ ساعات، كانت
الفتاة تتوسل إليه راکعة ولكنه لم يبالٍ إلى صراخها أو عينيها التي كادت أن
تبكي دماً بدلاً من الدموع، لم يبالٍ إلى رعشة يديها وهي تمسك قدمه وتقبلها
طالبة منه العفو، وسرعان ما شدّ أجزاء سلاحه وأطلق الرصاصة في منتصف
رأسها لتسقط هي ويصبح خدها على حذائه والدماء تتسلل إلى الأرض.

ظلاً واقفاً في منزله يتذكر ما حدث وكأنه لا زال في مسرح الجريمة، ينظر
حواله ببطء بملامح متجمدة إن اطلع عليها أحد لن يفسر بماذا يشعر الآن،
ندم؟! لا أظنه يعذبه ضميره؛ فهذا من المستحيل، قاتل مثل (فارس) مات
ضميره وشعوره منذ زمن بعيد، ربما يكون غضبه الذي يظهر بسبب الاتصال

الذي أتاه تَوًّا للمرة الخامسة من (الحاج طلعت) ما زال يشكك في قدراته ويريد أن يطمئن من إتمامه للمهمة وهذا ما يغضبه الآن..

هذا المرترق المحترف عندما يتفق مع أحدهم يأخذ حقه مقدماً، وبمجرد أن ينهي عمله تنقطع صلته بالطرف الثاني وكأن العقد بينهما انتهت مدته هنا، فجنون العظمة لدى (فارس) لا يسمح لأحد بأكثر من ذلك، إذا أراد أحدهم الاطمئنان فليطمئن بمجرد أن يتفقا على المبلغ ويضعه في جيبه وبالوقت والدقيقة تُنفذ العملية.

نظر مرة أخرى إلى هاتفه ومعالم الغضب تزداد على وجهه حتى وافق على المكالمة وهو يصيح قائلاً:

- انتهى أمرها وانتهت مهمتي، لا تعاود الاتصال بي مرة أخرى وإلا سوف أنهي أمرك أنت أيضاً.

قالها وأغلق هاتفه ملقياً به على الفراش وهو يزفر بقوة ثم توجه نحو باب إحدى الغرف وطرقه بلطف وهو يقول:

- (عمار)، ما زلت لا تريد مقابلي؟!!

ثم تبسم وأردف بصوت هادئ:

- أعرف أنني مخطئ، وأعرف أيضاً أنك تريد مصلحتي ولكن ليس بيدي شيء، حالتي تزداد سوءاً، دمائي تغلي كل لحظة وأتعذب، أنت لا تعلم شيئاً ولا تشعر بي، صدقني لم أفهم حتى الآن سبب رغبتني في القتل.

كان يتحدث بهدوءٍ وحنينٍ مبالغٍ، وأخيراً مال برأسه على الباب مُنهيًا حديثه:

- الموت لي أو لهم يا عمار، لا تؤاخذني أنا ضحية، أنا أُعذَّب، ولا أحد يشعر؛
كلهنَّ عاهرات ورجالهن أنجاس، وأبناؤهن حلفاء لهن، هذا هو عالمنا صدقني.
لا مجيب، يذهب صوته داخل الغرفة ولا يعود بالرد، عاد يطرق الباب
بقوة وهو ينادي بصوت عالٍ:

- عمار..

بدا عليه شعوره باليأس، يده التي كانت تضرب بقوة أصبحت تعمل ببطء
إلى أن توقفت تمامًا وابتعد وهو ينظر بضيق، استدار متجهًا نحو غرفته ليدلف
إليها ويغلق الباب خلفه، هنا تراه بوضوح وكأنه تخرى عن ثوب القاتل وعاد
طفلاً ملامح منكسرة، جثا أرضاً ليمد يده أسفل الفراش ويمسك بحقيبة قديمة
مصنوعة من القماش البني، ظلَّ يقلب بداخلها بنفس وضعيته جلوسه حتى
أمسك بصورة أبويه، رغم أنها كانت باهتة بحكم مرور الزمن عليها إلا أنها
مهمة بالنسبة له لطالما تذكَّره بهم، نظر إليهم بحزنٍ ولم يمضِ الكثير حتى
نهض ووضع صورتهم على الطاولة الخشبية ثم أخرج من خصره سكينًا صغيرًا
وقطعها من بينهم لتنقسم الصورة إلى قطعتين؛ واحدة لأبيه والأخرى لأمه،
أبعدهما بيديه مرددًا بهدوء: ”هذا أفضل“ ثم نهض بقامته الطويلة وأعاد
شعره الى الخلف ثم نظر للوشم المرسوم على يده اليمنى وقبَّله، هذا الوشم
الذي يرمز للعدل يجعله يهدأ كلما نظر إليه فهو أحيانًا يرى أن كل جرائم
القتل الذي ارتكبها كانت مجرد قصاص إما له أو لغيره.

”أول أيام شهر رمضان الكريم“

كأي أسرة مصرية قبل الإفطار بساعة واحدة يكون المنزل في أزهى شعائر تلك الأيام المباركة، يجلس الرجل وأمامه طبق وفي يده سكين ويقوم بتقطيع الخضروات ليساعد زوجته في عمل وجبة إضافية من السلطة الخضراء، والتلفاز يعرض أحد البرامج الدينية. خرجت زوجته من المطبخ وفي يدها مشروب رمضاني ثم وضعته على الطاولة وهي تتبسم لزوجها وهو يبادلها نفس الابتسامة الواسعة ليقطع تلك اللحظة صوت جرس الباب.

نهض الرجل بخطوات سريعة، صحيح هو لا ينتظر أحدًا، ولكنه اعتاد على الزائرين في مثل هذا الوقت كل عام من الفقراء والمحتاجين، قام بفتح الباب ولكنه لم يجد أحد، دقق النظر في اتجاهات مختلفة حتى وجد أسفله كيس شفاف صغيراً به دماء محتدمة لونها مائل للسواد، حملق فيه بدهشة وانحنى ليلتقطه.

العقبة الوحيدة التي تواجه (فيروز) الآن هي الجامعة، بالطبع لن تذهب بالطفل ولن تتركه وحيداً في المنزل، بالإضافة أن غداً الامتحان الأول لنهاية العام، ظلت تفكر حائرة وتنظر للطفل الذي يضحك لها ولا يبالي بشيء، تبسمت هي أيضاً واقتربت برأسها من رأسه مداعبة أنفه الصغير بفمها، ثم تذكرت أن أذان المغرب قد اقترب وهي صائمة.

تركت الطفل ونهضت لتقوم بتحضير الطعام، خرجت من غرفتها لتستمع فجأة لصوت انفجار بالخارج جعلها تتوقف في مكانها رعباً، اخترق قلبها؛ فهو